لغز فى النيل[1] لأبى بكر بن العجمى

سألتك أعزك الله عن سائل لاحظ له فى الصدقة، وإن لم يكن متصل النسب بالأشراف، كثير الرجفان من غير أن يخاف، كم رد سائله نهرا، وعفروجه قاصده بالتراب قسرا، مذكر كثير الحيض، لطيف الانبساط سريع الغيض، يتشعب ويتكسر، ويتعوج ويتدور، وله خمسون عينا وأكثر، يحمل القناطير المقنطرة، ويعجز عن حمل إبرة، سريع الاستحالة، قلما يلبس على حالة، بعيد الخوض ليس له قرار، يعاجل صفاء وارده بالأكدار، يسكن فى تخوم الغبراء[2]، وينم على أحوال السماء، رقيق القلب على كل عديم، وكيف لا وهو الولى الحميم، يجود بأفخر الحلى، ولا يرد من نداه مؤملا، كم عمر سبيلا وقطع طريقا وأخاف سبيلا، وطغى[3] واحترق، وأظهر الحقائق وهو كثير الملق، وكم علا درجا وحط قدر الدقائق، وقلع بأصابعه عين كل مارق، وكم طهر أمما من أرجاسها، وأماط[4] عن أرض بذاء أدناسها، وكم درأ عن شيخ خبثا، ورفع كهلا وحدثا، صيقل يجلو الصدى، ويظهر على شدة البرد تجلدا، كم أباح محرما للعباد، وأكثر الفساد فى البلاد، وكم رأينا شموسا[5] تجرى لمستقرها فيه وتجنح، وتلوح فى فلكه وتسبح، جمع فيه الخوف والرجاء، والكدر والصفاء، ومن العجائب أنه كافر وكم أعان على

---

(١) فى جـ: الماء.

(٢) فى جـ: البيداء.

(٣) فى الأصل: وطفا.

(٤) فى ب، جـ: وأمات.

(٥) ليست فى الأصل.

العبادة أهل الصلاح، وأفاض نزيلة بالنية ولم يخش فى ذلك من جناح، فسبحان من جمع فيه الأضداد، وأرسله رحمة للعباد.

*** لغز آخر فى البحر:**

ما تقول السادة العلماء، فى شىء نزل من السماء، وركض فى الهواء، وتخيم فى البيداء، نطق عن نفسه فأفصح، وتكلم فبين وأوضح، أفقر وأغنى، وأمات وأحيا، له صرخات من غير غضب، ورقصات من غير طرب، يسبق الفرس السريع، ويسقط الطفل الرضيع، مختلف الألوان، موجود فى كل زمان، ما أكثر لغاته، وأعم فى البشر ذكره وصفاته، وهو خفيف ثقيل، كثير قليل، صغير كبير، طويل قصير، قريب بعيد، قديم جديد، غال رخيص، قوى ضعيف، بطىء سريع، بارد حار، نافع ضار، متحرك ساكن، ظاهر باطن، أسود أبيض، أحمر أزرق، مصرى هندى، شامى عراقى، يتجبر ويتكسر، ويتعوج ويتدور، ويتخلل جفن العين برقته ولطفه، ويتخبل جثة الفيل فى عطفه، يمشى على العيون فلا يؤلمها، ويطأ على القلوب فلا يكلمها، غير أنه يقطع الطريق، ويخيف الرفيق، كم من قوم أهلك، ولا أراق لهم دما ولا سفك، يحمل ألف قنطار، ويعجز عن حمل الدينار، وهو ليلى نهارى، عربى عجمى، سهلى جبلى، جاهلى إسلامى، رومى نوبى، هندى حبشى، كان مع آدم فى الجنة، وصحب نوحا فى السفينة، وتوسط النار مع إبراهيم، كم له مع موسى من خبر[1]، (ولموسى فيه من أثر، حمل موسى على ظهر ظهر)[2]، وما سار به فى بر ولا بحر، وهو من معجزات سيد البشر، فقله يا من قرأ ودرى وخبر.

*** ذكر لغز الماء لبعض الأدباء:**

ما تقول فى شىء يطير بلا جناح، يبيض ويفرخ فى البطاح، رأسه فى ذنبه، وعينه

---

(١) فى الأصل: عبر.

(٢) جاء مكان ما بين القوسين فى الأصل: ولموسى عليه من أنه حمل موسى على ظهر.

فى موضع قتبه1، يسمع بأذن واحدة، ويبصر بعين زائدة، له قرن كالنخلة السحوق، يعجب من أبصره ويروق، يصلى إلى الغرب بالليل، ويسجد طول عمره لسهيل 2، يتقرب به الملوك للخالق، ويوحدونه بقول صادق، النصارى تتقرب به واليهود، والكتب المنزلة بذلك شهود، ريشه كثير، ووبره غزير، طعامه الجوز والعسل، وبه يضرب المثل، شرابه اللبن والخمر، ونقله الملح والتمر، يكره النسوان، ويحب الغلمان، يحمل الأثقال وهو ضعيف، ويقذى3 الأسد وهو نحيف، إن طلب أدرك، وإن طلب أهلك، يقطع الأرض فى ساعة، بلا مال ولا بضاعة، تعرفه الملوك ولا تنكره، وتفهمه السوقة وتخبره، يسكن القصور، ويأوى بالليل إلى القبور، يبكى على الأحباب، ويندم فقد الشباب، ما ملكه قط بشر، ولا حازه أنثى ولا ذكر، يلعب به الصبيان، يغلى من سعره الأثمان، يمازجه الاتفاق، يتلى فى سورة ق، يصلى ويصوم، ويقعد ويقوم، خلقته لا تحصى، وصفاته لا تستقصى.

وقد رأيت كراسة للشيخ تقى الدين المقريزى فى شرح هذا اللغز وأنا ألخص ما فيها من حل المشكل باختصار:

قوله (يطير بلا جناح) إشارة إلى نزوله من السحاب.

(يبيض ويفرخ) كناية إلى ما يحدث عنه من النبات والمرعى.

(رأسه فى ذنبه) لأنه إذا نزل من السحاب يرى خطوطا ممتدة فيكون رأسه الممتد مما يلى الأرض، وفى الحقيقة إنما هو طرفه فإن أصله فى السحاب.

(وعينه فى موضع قتبه) إشارة إلى الحباب[1] الذى يحدث على ظهر البحر بوقوع قطر المطر فيه.

---

(١) فى الأصل: الخباب. وفى جـ: الأحباب.

---

1 قتبة: القتب: الرحل الصغير على قدر سنام البعير.

2 سهيل: نجم يرى فى جميع أرض العرب.

3 ويقذى الأسد: أى: يلقى القذى فى عينيه.

(يسمع بأذن واحدة) إشارة إلى نزوله عند حاجة الناس ودعائهم بطلبه من جهة السماء.

(ويبصر بعين زائدة) إشارة إلى الفواقع التى تحدث عند نزوله فى البحر.

(له قرن كالنخلة) إشارة إلى هيئة نزوله كالحبال الممتدة.

(يصلى إلى المغرب) [إشارة إلى أن جميع الأنهار تنبعث من جهة المشرق وتمر إلى نحو المغرب][1] ولم يستثن من ذلك إلا ثلاثة أنهار نيل مصر وعاصى حماه ونهر آبل بأطراف بلاد الترك مما يلى الخطا، فإنها تخرج من جهة الجنوب وتمر إلى الشمال.

(ويسجد لسهيل) لأن السحاب إذا نشأ من البحار يواجه سهيلا.

(ريشه) إلى آخره، إشارة إلى ما يحدث عن الماء من أنواع الخصب لباسا وأكلا وشربا.

(يكره النسوان) قال المقريزى: هذا معنى مستغلق لا يعرفه إلا الأقل من القليل، وهو من علوم القدماء فإنه عند أئمة السحرة إذا نزل المطر فتجردت[2] امرأة من ثيابها واستلقت على ظهرها[3] ورفعت رجلاها[4] وباعدت ما بينهما بحيث يبقى فرجها بارزا[5] نحو السماء، فإن المطر يرتفع تلك الساعة ولا ينزل منه شىء مادامت المرأة كذلك. قال: وشرط بعضهم أن تكون المرأة حائضا. وبالغ المقريزى فى تبجحه[6] بمعرفة ذلك.

قلت: أحسن من هذا الذى نقله عن السحرة أنه ورد فى بعض الآثار أن الزانية

---

(١) ما بين المعقوفتين ليس فى الأصل.
(٢) فى الأصل: فتجرد.
(٣) فى ب، جـ: قفاها.
(٤) كذا بالنسخ الخطية. والوجه أن يقال: رجليها.
(٥) فى الأصل: بإزاء.
(٦) فى ب: تنححه.

إذا رفعت فرجها إلى جهة السماء والقطر نازل ارتفع، فما لنا نترك النقل عن الآثار النبوية بالإسناد[1] وننقل كلام السحرة.

قوله (ويحب الغلمان) قال المقريزى: هذا أيضا من علوم القدماء، وذلك أن العين إذا أرادوا استنباطها أو كان ماؤها قليلا وقصدوا غزارته فإنهم يعمدون إلى سبعة[2] غلمان بارعين فى الجمال والحسن عارفين بصناعة الموسيقى وضرب العود ذوى أصوات مطربة، ثم يقومون صفا واحدا مستقبلين بوجوههم منبع العين ويحركون[3] أوتار عيدانهم تحريكا واحدا بإيقاع واحد مدة ثلاث ساعات بطالع معروف، فإن ذلك الماء يسبح حتى يبل أقدامهم، وكلما (تبعهم تأخروا) [4] حتى يحصل به الغرض. قال: واعتبر ذلك بأن يجلس جماعة على شاطىء النيل لاسيما وقت المد[5]، ويكون فى الجماعة صبى فإنك إذا تأملت البحر تجده يقذف موجه إلى جهة الصبى أشد ما يقذف إلى جهة غيره. هذا كلام المقريزى بنصه والعهدة عليه. ثم قال: ولله فى خليقته أسرار يبدى منها ما يشاء لمن يشاء.

كتب الشيخ الإمام علاء الدين أبو حامد أحمد ابن شيخ الإسلام تقى الدين السبكى إلى الأديب صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى ملغزا فى النيل:

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة ... بواد وحولى صاحب وخليل

وهل لى بأرض الشام ما عشت عودة ... فينعشنى بعد البعاد وصول

أرى قدمى لما تجاوزت حلها ... أراق دمى والود ليس يزول

فصبرى ووجدى ذاك عنى راحل ... وهذا له بين الضلوع مقيل

وقلبى وطرفى ذاك من لاعج الجوى ... يجف وهذا بالدماء يسيل

---

(١) ليست فى جـ.

(٢) فى الأصل: سبقه.

(٣) فى الأصل: ويجرون.

(٤) فى ب، جـ: تأخروا تبعهم.

(٥) فى جـ: الزيادة.

فـؤادى وجـسمى ذاك أمـسى سـواده ... يجـود[1] وهـذا بـالفراق بخيـل

قـصار الليـالى منـذ شـطت بـى النـوى ... طوال وليل العاشقين طويل

ويخفـق قلبـى للغـراب وخفقـه ... ومالى برد الخافقين سبيل

وإنـى لقـال للعـذول ولومـه ... لمثلى قال لا يفيد وقيل

وكـم رمـت أن أمـضى إليكم مـع الـصبا ... ليسكن عنى لوعة وغليل[2]

فعـوقنى دهـرى ومـا بـى علـة ... وسارت إليكم والنسيم عليل

وخلفـت عـنكم لا عـذولا لغيركـم ... وهل لكم بين الأنام عديل

سـوى أن صـبا لاح منـه لمقلتـى ... من الراح ما فى الكاس منه شمول

يطـوف بـه الـساقى[3] وقـد راق واغتـدى ... يروق جميع الشرب حين يجول

ويلعـب فـى هـام الملـوك إذا عـلا ... وتذهب منه حيث بان عقول

إذا عـانق القيـاس صـرف رحيقـه ... تميد به أعطافه وتميل

يـسير ويـسرى بـين شـرق ومغـرب ... له كل يوم نقلة ورحيل

ويقطعـه ضـرب مـن الكـف هـين ... وإن حديد الهند عنه كليل

علـى البحـر يـسمو[4] مـع جهالـة أصـله ... على أنه للبحر سوف يؤول

ويبعـد أحيانـا ويقـرب تـارة ... لنا وكلا الفعلين منه جميل

كـريم علـى جيرانـه غـير أنـه ... عليهم إذا جاد السحاب بخيل

وكـم فيـه مـن قـصر رفيـع علـى الـورى ... وليس لميل القلب عنه ذهول

يخـاف ويرجـى يـوم جـود وسـطوة ... وليس له فى الحالتين مثيل

---

(١) فى الأصل: يجول. وفى ب: يحول.

(٢) فى ب، جـ: وعليل.

(٣) فى ب: الباقى.

(٤) فى النسخ الخطية: يسموا. ولعله تصحيف فيكون الصواب ما أثبتناه.

فمـــن قاســـه بالليـــث فهـــو مقـــصر ومن قاسه بالسيل فهو جهول
أخوبـــــدع لا بـــــالعهود يفـــــى ولا له عن وفاق الكافرين عدول
وكـم فيـه مـن عـاب[1] ونقـص وعـورة وفيه على كل الأنام فضول
وفـــى قلبـــه لـــين القـــضيب وإنـــه يزيد على يبس الحصى ويصول
ولـــيس بـــأنثى لى يبـــاح نكاحـــه وفى الأرض أزواج له وبعول
لـه اسـم حـوى اسمـا ثـم حرفـا مـسكنا وفعلا وهذا فى الأنام قليل
إذا أنـــت قـــد صـــحفته هابـــت العـــدا حماك وقالت إنه لنبيل
ومـن عكـسه إن زال حـرف فلـن يـرى لديه عن المستقبلات نصول
فيـا مـن دلـت منـه الفـروع وأينعـت وطابت له فى السالفين أصول
ويـــا مـــن لـــه جـــد عظـــيم ونائـــل عميم ومجد شامخ وأثيل1
أبـــن لى مـــا ألغـــزت فيـــه فإنـــه له منك أصل ثابت وأصيل
تـــضمن نظمـــى ذكـــره غـــير مـــرة صريحا له بين العيون مثول[2]
ومـــن ذا الـــذى يـــدعى ســـواك لحلـــه وأنت زعيم بالعلوم كفيل

فكتب إليه الصلاح الصفدى فى جوابه:

أزهر رياض جادها وابل الحيا وطافت عليها للشمال[3] شمول
فأصبح عطف الغصن إذ يمرح الصبا يميد إذا هبت صبا وتميل
وفاءت على شاطى الجداول دوحة فحاكت غذار الخط وهو صقيل

---

(١) فى ب: غاب.
(٢) فى الأصل: مثيل. والمثبت من بقية النسخ ومن نسخة بهامش الأصل.
(٣) فى ب: الشمول.

---

1 أثيل: أصيل.

وإن در فى أقطارها مسكة الدجى أسال عليها الزعفران أصيل
فأشبهت الأرض السماء وقاربت بأنجم زهر مالهن أفول
أم الطرس وشته أنامل فاضل تقر له بالعجز عنه فحول
أبى حامد رب المحامد والعلا ومن لا له فيما يروم عديل
من الخزرجيين الذين علاهم غدا ظلها فى الفضل وهو ظليل
يشيدون مجدا شأوه غير مدرك وطابت[1] فروع منهم وأصول
حبانى بهاء الدين أزكى تحية يطيب صبا من نشرها وقبول
أتت تتهادى فى حلى بلاغة يقوم الثنا فى وصفها ويقول
فأبصرت منها رونق الأدب الذى يعز على من رامه ويطول
وحقق لى علم بأنك واحد وليس سواء عالم وجهول
تفرد فيما حازه من فضائل وكل رداء يرتديه جميل
مباحثه فى كل ظلمة مشكل لها غرر معلومة وحجول
يرد على فضل الفضائل قولهم ولا ينكرون القول حين يقول
ألا يا بهاء الدين إنك سيد قؤول لما قال الكرام فعول
أجدت نظاما حين أعربت مقصدا ولطفت معنى حين أنت جليل
وألغرت فى جار كثير وفاؤه وربتما[2] قد راح وهو قليل
يسير ويسرى مثل ما قلت دائما وتم جناس اللفظ حين يسيل
تجر عليه الريح فاضل بردها فيصبح مثل الذيل وهو بليل
إذا أعجب الكفار فيض نواله فإحسانه للمؤمنين وصول

---

(١) فى جـ: وطالبت.
(٢) فى ب، جـ: وربما.

قديم الوفا عند الصفا فإذا بدا تغيره فالخير منه جزيل
تراه بلا كف وكم أصبع له تعد أياديها وذاك يطول
وآخره جمع وأوسطه ندا وأوله فى البحر ليس يزول
وإن قيل ما هو قلت ما هو حقيقة يصوب على وجه الثرى ويصول
وحلو خفيف للقلوب محبب وأما سواه بارد وثقيل
وكل عروضى يرى أن بحره بسيط مديد وافر وطويل
ضعيف القوى ما رد راحة لامس صبور لأثقال الأنام حمول
وأعجب ما فيه صحيح لغاية فواعجبا والقلب منه عليل
تراع تراع الأرض منه إذا طغى ويؤمن لما أن يخاف سبيل
وما ينصر السلطان إلا بكسره وذاك مراد للأنام وسول
(قطعت به ليل التمام مسهدا ولم يبدلى منه عليه دليل) (١)
(فلا زلت مثل البحر يبدى عجائبا ويطفح من فياض فضلك نيل) (٢)

وقال الشهاب المنصورى ملغزا فى النيل:

حلو اللمى أحببت من إدباره مثل الذى أحببت من إقباله
حسن الشمائل لا يمل وصاله أبدا ومن لمحبه بوصاله
طلق المحيا إن بدا متبسما قرت بعين نسائه ورجاله
فى كل وقت يشتهى لا سيما فى حال بكرته وفى آصاله
قطع الطريق أقل ما يعزى له والناس تشكره على أفعاله
ومن العجيب العجز عن إمساكه مع لين جانبه وقرب مناله

---

(١) هذا البيت والذى يليه ليس فى جـ.
(٢) هذا البيت ليس فى ب.

وقال أيضا ملغزا فيه:

مولاى ما صب كريم بشفائه نعم النديم
يعلو إلى أعلى السما ء[1] ولا تفارقه التخوم
ذو راحة ممدودة وأصابع فيها النعيم
عجبا إلى طغيانه وبجنبه بر رحيم
فهو الجديد محاسنا ومساوئا وهو القديم
وصلاته موصولة ما دام فى الدنيا نسيم
لم يلف إلا ساعيا وإذا سعى فهو المقيم

وقال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر ملغزا فى الماء

وما شىء إذا همزو ه أمسى دائما يجرى
جواد به كم قد خص دون الترك من بحرى
وكم من خلقه قد أمست جنائب 1دونه تسرى
وكم من سابح عنه قصير الكر والفر
(وكم طرق به قطعت على السارين فى البر)[2]
وكم حى به أمسى له أمن من الضر
تراه وهو مركوب ولا كالسير[3] فى القفر
وكم قد راح فى سهل وكم قد جاء من صخر
فلا تنسب سكاب 1 له فأين سكاب من بحر 2

(١) فى جـ: السماك.
(٢) هذا البيت ليس فى ب، جـ.
(٣) فى ب: وكالسير.

1 جنائب: جمع جنوب. وهى الريح تهب من ناحية الجنوب.
2 سكاب: اسم فرس عبيدة بن ربيعة. والاسم مبنى على الكسر كحذام.
3 بحر: البحر من الخيل: الواسع الجرى الشديد العدو.

وبالتصحيف لا يدرى وبالقلب له تدرى

* ذكر مفاخرة بين النيل والبحر المالح:

نقلتها من خط الشهاب الحجازى وأظنها له 1:

سبحان واحد أحد أنشا (ظلام الليل) [1] (سبعة أبحر) [2] خلق قادر عظيم النيل
يسمع سقوط الندى[3] مع ضعف ذاك الحيل
ومنزل القطر[4] والوابل ومجرى السيل
واسمع لروضة نظامى وأخلى السمعين لجوهر نظم مثلو ما يرى بالعين
عمره وقد قلت يا ضدى اندحر[5] مفاخرة فاخرة فى مجمع البحرين
قال الفتى النيل للمالح وكم تملح اسكت فإن سكاتك دوم لك أصلح
وإن كنت يا بحر مالح حر [6] تتقملح فما يرى منك لا أنتن ولا أملح
فقال له المالح اسمع لى وطع أمرى فأنت يا بحر لا تحرى ولا تمرى2
وإن كنت تطلب ببغيك يا ربع دحرى[7] فما تجى أنت نقطة قط فى بحرى
فقال له النيل تهدى الخلق فى ملوى إذا عليت فعندى نفع فى علوى
أقل لك الحق اسمع لى ولا تلوى تبارك الله ما أحلى حلا حلوى
فقال له المالح أنت أيا أبا الخلجان فيك الرمم وأنت تقرف إنسها والجان

---

(٢) جاء مكان ما بين القوسين بياض بالأصل.
(١) جاء مكان ما بين القوسين فى ب، جـ: النيل.
(٣) ليست فى ب، جـ.
(٤) فى ب، جـ: الطل.
(٥) فى ب: له. وفى جـ: إنها.
(٦) فى الأصل: عر.
(٧) فى ب، جـ: نقرى.

---

1 هذا لون من ألوان الشعر العامى.
2 لا تحرى ولا تمرى: أى: لا تنقص ولا تزيد أو تسيل.

وأنت بالغبن [1] منى لم تزل حرجان كمن ما فيك لا لؤلؤ ولا مرجان

فقال له النيل اسكت واستحى يا عر 1 (عمرك ثقيل تخوف وأنت مالح مر) [2]

وبعد هذا تفاخرنى بزى الدر إن كان لك در فى برى بيان البر

فقال له المالح اسكت لا تكن عايق أمرى فإنى بسطوه لم أزل فايق

عليك يا من يقول إنو فرح فايق قلبك معكر وقلبى لم يزل رايق

فقال له النيل جل الواحد القهار اللى خلقنى حياة النفس والأزهار

أنا الذى فى حياتى طهر للأطهار أنا الذى يخدمونى السحب والأنهار

فقال له المالح أحبابى يراعونى وإن أمرت أتوا أمرى وطاعونى

وإن طلبت (الصفا منهم) [3]يصافونى أقوام للكعبة الغرا يوافونى

فقال له النيل اسكت يا قبح عرضى فإن تعارض [4] بأفعال الردى تقضى

أنا إذا جيت أرضى قط ما أمضى حتى أفرح وأرضى بالوفا أرضى

فقال له المالح أنت ناقص الإكمال يا أبو التماسيح والتراس والجمال

(لى كل) [5] مركب محصن بالتحف حمال وكل تاجر ترى لو وزن بحرك مال

فقال له النيل قولك ليس من حقه فخيرتك يا مقفلت تعبر الرقه

إن كان واللى ذكرته حق فى الطرقه فما سوى ما تقولوا رجفة الغرقه

فقال له المالح اسمع لى أنا الزاخر إن جيت أنت تفاخرنى أنا الفاخر

---

(١) فى الأصل: بالعين.

(٢) وقع تبادل بين هذا الشطر والشطر الثانى للبيت التالى فى النسخة جـ.

(٣) فى ب، جـ: منهم الصفا.

(٤) فى ب، جـ: تعاوض.

(٥) جاء مكان ما بين القوسين فى الأصل: فى.

---

1 عر: أجرب.

أنا الذى حق أكبر منك فتاخر فما بلغ حد لى أول ولا آخر
فقال له النيل هذا غاية التعكيس إنك تكبرت نجمك عاد فى إنكيس
كم من رأيناه مثلك صار فى تفليس فما ادعى الكبر بين الخلق إلا إبليس
فقال له المالح اسمع واترك التعزيز وذل عندى[1] تعزز غاية التعزيز
وانظر لدهليز ملكى فاق من دهليز وأنت حرفوش فرشك رمل مع إبليز
فقال له النيل بسك تدعى يا فل فإنك الآن فى دعواك تشبع سل[2]
يكفيك أنك بفشرك لو تزل منعل وأى من سار فى بحرك دياجى ضل
فقال له المالح اتوقر وبسك قجم فإن قجمك [3]سمج مالح [4] يعوز الرجم
وأهل الفوايد تراهم يهجمونك هجم وأى من ضل فى بحرى هدى بالنجم
فقال له النيل ربى يذهب الأحزان وفى القلوب خفيف الثقل والأوزان
وكم ريس نفق ماله بلا ميزان عندى وعمرى مبخر صدر فى الكيزان
فقال له المالح احذر لا تكن مجان معى فإنك على بابى صفة سجان
فلا تفاخر لزيى قط يا ثلجان يسوى بخورك بريح الروث فى الخلجان
فقال له النيل يا مالح محى رسمك فما تزيد على قد فنى قسمك
وأنت بالغبن منى ينتحل جسمك لا شك لك اسم مالح قد [5] كفاك اسمك
فقال له المالح اسكت واستحى يا سلح فأنت فاجر تقبح ليس عندك كلح
وبس تهدر بقدرى واستحى يا شلح هل الطعام جعل له طعم إلا الملح

---

(١) فى جـ: لى.
(٢) فى ب، جـ: بل.
(٣) فى ب، جـ: نجمك.
(٤) فى ب، جـ: مالك.
(٥) ليست فى جـ.

فقال له النيل اسكت كم ردى [1] مسفور قد ارتجف منك يا أسود[2] من الكافور

ما[3] لك طعم أو[4] لك حلاوة قط يا مدحور أو كل قصر حظى بالقاصرات الحور

فقال له المالح افتر آخذك دابى أو أطردك يا معتر[5] من على بابى

ما أنت مثلى وما من جملة أربابى لا تختلط بى فما لك قط حاجة بى

فقال له النيل مثلك ما يرى أوسخ وأنت مالح وملحك فى الثرى يرسخ

يا شبه بغل دنى[6] الأصل متبرزخ بينى وبينك لئلا تختلط برزخ

فقال له المالح اسكت لا كفيت الكرب رح يا مصيط بضربه يا نقيع الضرب

من شرقها يسربوا القبلة عليا سرب وكل تاجر على بحرى صعد للغرب

فقال له النيل قلت الحق انصفنى اللى ضربنى ورب العرش أنصفنى

من قال ربى لموسى اضرب فاعرفنى أنا[7] الإله بما قد قيل شرفنى

فقال له المالح اسمع حسن إنصافي وإن سألت فاسأل أهل وصافي

واسمع مقالى وأقوالى وأوصافي بحرى عميق وقلبى لم يزل صافي

فقال له النيل نحنا لم نجد لك وصل إلا مفارق إلى يوم اللقا والفصل

وحق مفنى العدا عنا بحد النصل ما فيك لله شربة يا ردى الأصل

فقال له المالح أنت يا أبو الأعوان فيك المكوسات 1 من بحرى إلى أسوان

---

(٢) فى ب، جـ: أبرد.
(١) فى ب، جـ: رؤى.
(٣) ليست فى الأصل: وفى ب: لا.
(٤) فى ب: ولا.
(٥) فى ب: يا مغتر.
(٦) فى ب: ردى. وفى جـ: ذى.
(٧) فى الأصل: إنى. وفى ب: إلى.

---

1 المكوسات: جمع مكس، وهى الضريبة يأخذها المكاس ممن يدخل البلد من التجار.

وحق رب تعالى كون الأكوان ... فى كل عام فريحى ساير الألوان

فقال له النيل للهادى النبى المختار ... عندى مكان موقر قد حوى آثار 1

وكل حسنا تضى عندى لها خبار[1] ... وأنت أهل المظالم يا عطا للنار

فقال له المالح اسمع إن لى عصبة ... يأتون لعندى كمالك فى الورى عصبة

إن كان فيك الفرج[2]والسكريا نصبه ... أنا عليا يجوا حتى يروا الكعبه

فقال له النيل اسكت لا كفيت الباس ... ولا يضى فيك لا[3] شمعة ولا مقياس

لك كل عام بشارة فرح من مقياس ... يوم الزيادة ولك روضه ولك مقياس

فقال له المالح اسكت لا تكن سكران ... مما جرى فيك بالنايات والعيدان

أنا وأنت ترى بحران موجودان ... أصلى جواهر وأصلك حبش مع سودان

فقال له النيل جار الواحد العلام ... اللى خلقنى حياة النفس فى الإسلام

أنا الذى قد كفيت الخوف والآلام ... والمنشآت جوارى فى كالأعلام

فقال له المالح انظر فى بحارى سلك ... جوهر وضوؤه ينور فى الليالى الحلك

وحق رب تعالى مفترد[4] فى الملك ... فيا وفيك طوال الدهر تجرى الفلك

فقال له النيل ما لك فى صفاتك زى ... إن جيت أو رحت ما لك فى الأراضى رى

أقول لك الحق يا من لا نرى لوفي ... منى خلق رب قادر كل شىء حى

وزمجر النيل واتعكر وزاد الشوق ... واشتد غيظه وفوق من سهامو فوق

---

(١) فى ب، جـ: جار.

(٢) فى ب، جـ الفرح.

(٣) ليست فى ب، جـ.

(٤) فى جـ: منفرد.

---

1 آثار: أى الآثار النبوية التى كانت محفوظة برباط الآثار على النيل بمصر القديمة، والتى نقلت بعد ذلك إلى المسجد الحسينى بالقاهرة.

لما علا فى الزيادة فى مغانى جوق ... وقال راسى براسك يا قليل الذوق
فقال له المالح اسكت لا تكن شاتم ... فإن ليلى وليلك لم يزل عايم
والخلق شيان ذا شاكر وذا ذامم ... واعلم إذا زغت تجعل بيننا حاكم
والنيل لما طما نادى أنا الحاصى ... يا جمع الأنهار جاءوا الكل والقاصى
وجا الفرات فقال لو أنت من خاصى ... وطاع جيحون حتى طاعه العاصى
وقال سيحون للنيل الزكى تغتر ... يركب عليك ويتحكم وتتعتر[1]
فخيرتك نكتبه بالغلب[2] فى دفتر ... عندك وروح اشتكى يا نيل للكوثر
راح اشتكى النيل للكوثر وزاد الهرش ... وقال يا سيد الأنهار وريح الورش
الملح أضحى يعايرنى بسوء الفرش ... وأنا الذى خلقتى من تحت ساق العرش
فقال يا ريح هات المالح العجاج ... منكس الراس لوا نوسخى ثجاج
فجابه الريح للكوثر بلا اعواج ... غضبان حيران مظلم هاج بالأمواج
نادى له الكوثر اتمقل يجى رسمك ... ما قاله النيل عن لفظك بقى قسمك
إن صح ما قد نقل عنك وجب قصمك ... فقف بلا هرج واتأدب حدا خصمك
قام ادعى المالح العجاج مد حوله ... أنهار قالوا الدعاوى هم لنا أوله
وعصبة النيل قالوا الكل من حوله ... الدعو للصادق المقبول فى قوله
النيل هو اللى[3] صدق فى طولها والعرض ... فيما جرى منه يا أهل السنن والفرض
وإن بغى المالح العجاج يقرض قرض ... إنو تكبر على أحسن مياه الأرض
أمرهم الكوثر اصافوا وخلوا القبح ... واصاوفوا تربحوا فى ليلها والصبح
واصالحوا بعد ذا خلوا الأعادى كلح ... فالله أنزل على الهادى النبى الصلح

---

(١) فى ب: وتغير.
(٢) فى ب، جـ: بالقلب.
(٣) فى ب، جـ: الذى.

قالوا له السمع والطاعه كفيت الباس تضاحك الروض بالأفراح يا عباس
وقد ملوا الكأس عندو وأفرغوا الأكياس واتخلق النيل يوم الصلح فى المقياس
وبعد هذا نمجد خالق الأنهار ومن تسبح له الأغصان والأزهار
واجب علينا نوحد سر مع إجهار واحد أحد مقتدر قادر غنى قهار

*** ذكر مفاخرة بين السماء والأرض:**

نقلتها من خط الشهاب الحجازى وأظنها إنشاؤه، وأوردتها هنا لأن (فيها تعرضا) [1] للنيل: افتخرت السماء والأرض بلسان حالهما لا بلسان مقالهما، فقالت السماء للأرض: أنا العالية عليك، والمرسلة نولى إليك، ولولا غيثى لما نبت فيك حبة، ولا كنت مخصوصة بمحبة، ولولا يهتدى بنجومى سفارك، لكان كل أحد للسفر تارك، ولولا شمسى وقمرى عليك يشرقان، لكان كل ماش عليك حيران، وكم من ملك فى لا يفتر عن التسبيح لحظة، ولا يتكلم فى غير التقديس بلفظة، وفى البيت المعمور، الذى يدخله كل يوم سبعون ألفا من الملائكة لا ترجع النوبة إليهم ولا تدور. وفى جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وفى عرش الرحمن، وتعالى الله أن يحويه مكان، وأنا الذى أقسم بى الخالق فقال: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴾ 1 وأقسم بنجمى من على العرش استوى فقال: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ 2 ولقد حزت أعلى المناقب، إذ زيننى خالقى بزينة الكواكب، فأنا الخضراء السندسية، والقبة اللازوردية، منى تنزل الشهب رجوما للشياطين، ومن أبوابى ترفع أعمال الصالحين. وأنا قبلة الداعين، ومنى نزل جبريل الأمين، بالوحى على سائر الأنبياء والمرسلين. وإذا أسفر نقاب السحاب عنى انجلى حسن حضرتى على ضوء الشمس، وذهب الهم من القلوب عند النظر كذهاب أمس، وأنشدوا:

---

(١) فى جـ: لها تعلق.

---

1 سورة الطارق، الآية ١.
2 سورة النجم، الآيات ١-٣.

انظر إلى حسن السماء إذا صحت والنور يشرق والغيوم قد انمحت
فبصحوها وبضوئها وبلونها تشفى قلوب بالهموم تجدعت[1]
وكأنها مثل الكواكب فى الدجى فيها عيون قد سهت وتفتحت

فقالت لها الأرض عند ذلك، قد أكثرت بخصامك وجدالك، أما تعلمين أنى أنا المهاد، وأم الأولاد، والحاملة للأوتاد، وعلى يكون الحشر والمعاد، أما أنا الذى خلقت الأمم من ترابى، أما كل منهم يقول أنا منك خلقت وإليك مرجعى ومآبى. إن كان فيك يا سماء نجوم زاهرة، فكم فى من نجوم ثمار مثمرة، يحصل للعيون والقلوب بالنظر إليها انشراح، وتتلذذ بثمارها وأزهارها الأجساد والأرواح. وإن كان منك[2] الغيث والأمطار، فكم فى من منافع بالعيون والأنهار، سلى كل خليل وقبيل، عما يحصل للأمم من منافع النيل، وما يتحصل لهم من مده من الخير الجزيل، والمال الجميل[3]. وإن كان السفار بنجومك يهتدون، فكم فى من أمم بعلمائى يقتدون، وإن كان فيك ملائكة لا يفترون عن التسبيح للملك العلام، فكم على ظهرى من القوام لله فى الظلام، الذين مدحهم مولاهم فى الكتاب المكنون، بقوله تعالى: ﴿ كَانُواْ قَلِيلاً مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ 1. وكم فى ملائكتك من هو موكل لبنى آدم بالاستغفار، ومن هو موكل لهم بإنزال الأمطار وإجراء الأنهار وتخليق الثمار، وكم فى من ملائكتك يطوفون الليل والنهار فى مجالس الأذكار، أما نزل من علوك إلى البهموت، بالدعوى هاروت وماروت، ادعوا الصبر عن الشهوات، فوقعوا بالدعوى فى الآفات، وطلبوا الإقالة فقيل فات، وحصرهم رخ 2 الغفلات إلى زاوية رقعة الزهرة وقال شاه مات. وإن كنت يا سماء

(١) فى ب، جـ: تدحدحت.
(٢) فى جـ: فيك.
(٣) فى ب: الجليل. وفى جـ: الجزيل.

1 سورة الذاريات، الآيتان ١٧، ١٨.
2 رخ الغفلات: الرخ: قطعة من قطع الشطرنج.

تفتخرين بالشمس والقمر، فقد قال سيد البشر: « **إن لله عبادا قلوبهم أنور من الشمس والقمر** » 1. وبهذا ورد الخبر. وإن افتخرت بالبيت المعمور والملائكة الطائفين، فأين أنت من الحرم الشريف الذى جعله أمنا للخائفين، وطبع القلوب على حبه، وجعل حجه مغفرة (من فر إليه من ذنبه) [1]. وإن افتخرت يا سماء بعرش الرحمن، فأنا افتخرت بقبر محمد سيد ولد عدنان، النبى العظيم الشان، مبيد الطغيان، ومبطل عبادة الأوثان، والداعى إلى الإيمان، الذى لولاه ما خلق الله الأكوان، ولا كان إنس ولا جان، ولا ميزان ولا جنان، ولا حور ولا ولدان، ولا دنيا ولا مكان، ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ 2. ولقد أحسن من قال:

لولا النبى المصطفي ما كان فى الدنيا بشر
هذا حديث شائع ونعم به ورد الخبر
لولاه ما خلق الوجود ولا رأيت له أثر
صلى الإله عليه ما هبت نسيمات السحر

ثم قالت الأرض: وإن كان فيك يا سماء أمة واحدة من الملائكة يسبحون، ففى أمم باختلاف اللغات يقدسون ويمجدون، مؤمنو الجن عاكفون على توحيده، والإنس ناطقون بتمجيده، (والطير فى الهوا يعترف [2] بمجده) [3]، والحوت فى البحر يسبح بحمده، وكل مخلوق على ظهرى يوحده فى هزله وجده. ولو لم يكن يا سماء لى فخر معروف، لكان [4] فخرى بمثل أهل المعروف، مثل الجنيد والسرى ومعروف، وأبى يزيد الهمام المقدم، والفضيل وإبراهيم بن أدهم. أما صارت

---

(١) جاء مكان ما بين القوسين فى ب، جـ: لمن قر إليه بذنبه.
(٢) فى ب: ينعتون.
(٣) ما بين القوسين ليس فى جـ.
(٤) فى الأصل: لكأنى.

---

1 لم نقف على تخريج هذا الخبر فيما بين أيدينا من الكتب والأجزاء الحديثية.
2 سورة الرحمن، الآية ١٣.

القلـوب بمحبـة الزهـد جامعـة، لما عـلق عنـد العـرش سـجادة رابعـة، ورئيت بعـد موتـها فى الجنان رابعة 1. لقد حصل لى بهؤلاء أتم الفخار، وبمن حمل على[1] ظهرى من النجـباء الأخيـار، ودفـن مـن الأنبيـاء والمرسـلين خصوصا النبى المختار، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة نرجو بها العتق من النار، ولقد أحسن من قال:

مفاخرة تلذ بها المسامع بموعظة جرت منها المدامع
وكم أضحى بها صب طروبا وذو زهد حزين القلب خاشع
ويظهر فيه سر معنوى وهذا السر كالأنوار لامع
فدونك يا[2] قتيل الذنب[3] هذا دواء للذنوب أراه نافع
وما استعملته إلا وأضحى عليك النور فى الآفاق ساطع

كتب ناصر الدين الحسن بن شاور بن النقيب إلى السراج الوراق:

يا ساكن الروضة أنت المشتهى من هذه الدنيا وأنت المقتضى[4]
ويا سرور النفس بين الشعرا أنت الرضى فيهم وأنت [5] المرتضى
ويا سراجا لم تزل أنواره تعيد أسود الليالى أبيضا
ما لى أراك قاطعا لواصل ومعرضا عن مقبل ما أعرضا

---

(١) ليست فى الأصل.
(٢) فى الأصل: ما.
(٣) فى ب، جـ: الهوى.
(٤) فى ب: المنتقى.
(٥) ليست فى ب، جـ.

---

1 رابعة: مقيمة.

* ذكر محاسن مقاطيع قيلت فى النيل:

قال محمد بن سهل البلخى [1]:

راقنا النيل [2] صفاء بعد تكدير صفائه
كان مثل السيف مدمى فجلوه من دمائه [3]
أو كمثل الورد غضا فهو اليوم كمائه

وقال آخر:

لو نطق النيل قال قولا يشفى به غاية الشفاء
قد كثر العذر فاعذرونى لما توقفت فى الوفاء

وقال الصنوبرى:

والنيل تلعب أطراف النسيم به ما بين ماض وآت أى تلعاب
كأنه زرد الزعف المضاعف أو نقش المبارد أو تفريك أثواب

وقال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر:

نيل مصر لمن تأمل مرأى حسنه فهو معجز[4] الحسن معجب
كم به شاب فودها 1وعجيب كيف شابت بالنيل والنيل مخضب [5]

وقال الشهاب المنصورى:

قالت لنا والبحر من تحتها والموج فى أرجائه يلعب

---

(١) فى الأصل: وقال عبد اللـه بن شيروز.
(٢) فى الأصل: الليل.
(٣) وقع تبادل بين هذا البيت والذى يليه فى ب، جـ.
(٤) فى جـ: معجب.
(٥) فى ب: يعجب.

---

1 فودها: الفود: شعر جانب الرأس مما يلى الأذن. وهما فودان.

ما أطيب النيل لزواره[1] قلت لها تصحيفه أطيب

وقال أيدمر:

كيمياء النيل خالصة قد أتتنا منه بالعجب
كان[2] من ذوب اللجين فقد عاد بالتدبير من ذهب
راقص بالحسن مبتهج فهو فى عجب وفى طرب
ومغانى مصر تسمعه نغمة الشادى بلا صخب
ونسيم الريح لاعبة فى خلال الروض بالقضب 1

وقال محيى الدين بن عبد الظاهر:

إياكم أن تنكروا جعفرا ذاك الخيالى[3] وأصحابه
من قبل مصركم له جعفر مخيل يخرج فى بابه

جعفر من أسماء النهر وأراد به الخليج الذى يمده النيل، وهو اسم للذى اخترع الخيال الراقص.

وبابه مشترك بين أحد شهور القبط، وفيه يكون كسر ترعات النيل وبين أحد[4] بابات الخيال، فاستخدم المعنى الذى يخص الشهر بالنيل، واستخدم المعنى الذى يخص الخيال لجعفر[5]، وهذا فى غاية الحسن، قاله الصلاح الصفدى فى كتابه (فض الختام عن التورية والاستخدام).

---

(١) فى ب، جـ: لرواده.
(٢) فى جـ: كأنه.
(٣) فى الأصل: انجبا لى.
(٤) ليست فى ب، ج.
(٥) ليست فى جـ.

---

1 القضب: جمع قضب، وهى كل شجرة طالت وبسطت أغصانها.

وقال أبو القاسم بن العطار:

ركبنا على اسم نهر كأنه حباب على عطفيه وشى حباب
والأجسام جال[1] فيه فزبده له من مديد الظل أى قراب[2]

وقال غيره:

أماترى الليل قد ولت عساكره مهزومة وجيوش الصبح فى الطلب
والبدر فى الأفق الغربى تحسبه قد مد جسرا على الشطين من ذهب

وأنشدنى الشهاب الحجازى لنفسه:

أيا طيب وادى ربى مصر إذ غدا النيل بالأرض للمشوق[3] صب
بشطيه غنت دواليبه وشبب ريح له فاضطرب
سماع يرقص[4] أعطافه بمغناك يا مصر ينشى الطرب

وقال غيره:

انظر إلى النيل الذى ظهرت به آيات ربى
فكأنه فى فضله دمعى وفى الخفقان قلبى

وقال آخر:

كأنما النيل والشموع به أفق سما تألفت شهبا
قد كان من فضة فصيره توقد النار فوقه ذهبا

---

(١) كذا ورد البيتان فى كل النسخ الخطية، وهما من الطويل، إلا أن الشطر الأول فى كل منهما مضطرب الوزن.
(٢) فى الأصل: حال.
(٣) فى ب، جـ: المشرق.
(٤) فى ب: يروض.

وقال الرشيدى أبو الربيع:

لله يومى بنهر قد مررت به فأبصرت منه عينى منظرا عجبا
كأنه شقة من فضة نسجت[1] وراحة البدر فيها ترقم الذهبا

وقال البدر البشتكى:

الشمس فوق النيل قد ألقت شعاعا كالذهب
فحكى مسنا أخضرا وعليه حك من ذهب

وقال ابن أبى حجلة مضمنا:

انظر إلى البحر تبدو من عجائبه حال الزيادة إفراط من الحبب1
كأنها حين تبدو للعيون بها حصباء در على أرض من الذهب

وقال أيضا:

قناطر الجيزة في خيالها لذاتى
والماء فيها راقص يخرج فى باباتى

وقال بعضهم:

انظر إلى النيل كيف يجرى كأنه ذائب الزجاج
تخاله أرض أبنوس كلل من فوقه بعاج

وقلت فى نزول النيل من قناطر الجيزة:

لله بحر باحر زاخر يسمع للأمواج فيه عجيج

---

(١) فى ب: سبحت.

---

1 الحبب: الفقاقيع على وجه الماء.

شبهت ما أزبد إذ خر من قناطر الخمس بقطن حليج

ثم بعد نحو ثلاثين سنة من قولى ذلك رأيت ابن أبى حجلة سبقنى إلى هذا التشبيه فقال وأجاد:

سقيا لقنطرة بجيزة مصركم بسطت بسيط الماء مثل لحاف
فكأنها (وكأن رغـوة) [1] مائهـا قطن تقلبه يد النداف

وقال بعضهم:

وزاخـر ليس له صـولة إلا إذا ماهـبت الريح
وهـو إذا ما سكـنت ساكن كأنه الريح فيه روح

وقال ابن نباتة:

زادت أصـابع نيلـنا وطفت وطـافت فى البـلاد
وأتت بكل مسـرة ما ذى أصابع ذى أيادى

وقال الحافظ أبو الفضل بن حجر:

انظر إلى النيل الذى بيد النسيم تجعدا
قد صيرته مـبردا فلأجل ذا يجلو الصدا

وقال الأسعد بن مماتى فى توقفه:

ولقد عهدت البحر سنيا يرى عمرا ويتبع رأيه تسديدا
والآن أضحى فى الورى متشيعا متوقفا ما إن يحب يزيدا

وقال بعضهم:

انظر إلى الشمس وقد أشرقت تشق نهرا حافلا مزبدا

---

(١) جاء مكان ما بين القوسين فى الأصل، جـ: ورغوة.

كأنه ذوب لجين وقد ألقى عليه صائغ عسجدا

وقال ابن الساعاتى:

يا حبذا روض ير وق [1] الناظر المترددا
والنهر فيه كمبرد (فلأجل ذا يجلو الصدى[2])

وقال أبو الحسن العلوى:

يا حسن ساحلنا وخضرة مائه والنهر يفرغ فيه [3] ماء مزبدا
كاللؤلؤ المنثور إلا أنه لما استقر به استحال زبرجدا
وإذا الشمال [4] سطت على أمواجه نثرت حبابا فوقهن منضدا
وكأنما الفلك الأثير أداره فلكا وضمته النجوم الوقدا[5]

وقال القيراطى:

حلانيل مصر فهو شهد ومن يذق حلاوته من سائر الناس يشهد
أبارد ماء الشام إن ذبت حره وغيظا فلا تهلك أسى وتجلد

وقال ظافر الحداد:

والنيل مثل غمامة نشرت محشاة بأخضر
والجسر فيها كالطرا ز وموجه رقم مصور
تغريكه ما درجت فيه الرياح إذا تكسر

---

(١) فى الأصل: يرزق.
(٢) جاء مكان ما بين القوسين فى الأصل، ب: فلا غرو أن يجلو عن المنهج الصدا.
(٣) فى جـ: عليه.
(٤) فى جـ: الجمال. والشمال: هى الريح تأتى من جهة الشمال.
(٥) الوجه أن يقال: الوقد، وبها لا تنضبط القافية.

وقال تميم بن المعز العبيدى 1 :

يوم لنا بالنيل مختصر وكل يوم لذاذة قصر
والسفن تجرى كالخيول بنا صعدا وجيش الماء [1] منحدر
فكأنما أمواجه عكن 2 وكأنما داراته سرر

وقلت:

النيل لما أن علا أمواجه وحف بالنبت لذى المنظر
كفروة السمور 3 إذ ركبت فى مقعد من [2] سندس أخضر

وقال ابن ظافر:

ولله مجرى النيل فيها إذا الصبا أرتنابه فى سيرها عسكرا مجرى
فشط يهز السمهرية 4 ذبلا 5 ونهر يهز البيض 6 هندية بترا
إذا مد حاكى الورد غضا وإن صفا حكى ماءه لونا ولم يعده نشرا

وقال آخر:

ولله مكسوا غلالة فضة فإذا أتى مد فثوب نضار

---

(١) ليست فى. جـ.
(٢) ليست فى ب، جـ.

---

1 هو ابن على، تميم بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدى الفاطمى، أمير، كان أبوه صاحب الديار المصرية والمغرب، فربى فى أحضان النعيم، ومال إلى الأدب، فنظم الشعر الرقيق، وكان فاضلا، لم يل المملكة لأن ولاية العهد كانت لأخيه نزار، توفى بمصر سنة ٣٧٤ هـ.
2 عكن: جمع عكنة، وهى ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمنا.
3 السمور: حيوان ثديى ليلى من آكلات اللحوم، يتخذ من جلده فرو ثمين.
4 السمهرية: الرماح الصليبة العود. نسبة إلى سمهر، رجل كان يقوم الرماح.
5 ذبـلا: جمع ذابل. يقال رمح ذابل، أى: دقيق.
6 البيض: جمع الأبيض، والمراد به هنا السيف.

وإذا استقام رأيت صفحة منصل وإذا استدار رأيت عطف سوار

وقال البدر البشتكى:

سلام على نيل جرى الدمع إذ جرى فعلمه ذاك الوفا فلذا يجرى
وفى نيلها بالغت أنهر عاذلى فقال رويدا كم تبالغ فى نهرى

وقال أيضا:

لم ينظر الطرف فى الدنيا كمصر ولا كنيلها ولعمرى قط ما نظرا
يصبى بداراته والموج ناظره لأنها تشبه الأعكان والسررا

وقال أيضا:

تعلم هذا النيل من خلقى الوفا أسكان مصر لهف نفسى على مصر
حكته دموعى حمرة وزيادة كما قد حكانى فى احتراف وفى كسر

وقال صاحبنا الشهاب المنصورى:

أيها النيل إنما أنت غوث لأناس يرون كسرك جبرا
فاسع فى أرض مصر واجر برزق زادك الله منه خيرا وأجرا

وقال البرهان القيراطى:

خليلى بحر النيل لا شط شطه موارده تحلو لنا والمصادر
فدع عنك أنهار الشآم ولا تكن لكوثره بالنزر منها تكاثر
له شيم بالحسن ظاهرة علت تدور على الأنهار منها الدوائر
بجانبه تمشى الملاح كأنها بساتين فيها للعيون مناظر
فكم غصن بان فيه للعين نرجس وللخد ورد [1] عاطر الزهر [2] ناضر

---

(١) فى الأصل: وللورد خد.
(٢) ليست فى جـ. وفى الأصل: النهر.

وقال أيضا

دوائر ماء النيل كم هدمت بها ... مناظر قد دارت عليها الدوائر

وكنت إذا أرسلت طرفك رائدا ... لقلبك يوما أنعشتك المناظر

وقال أيضا

حلا [1] نيل مصر فهو فى الذوق سكر ... وأمواجه فى كثرة عدد القطر

فكرر على سمعى أحاديث وصفه ... فسكرها يغنى النديم عن السكر

وقال الشريف العقيلى 1 :

أحن إلى الفسطاط شوقا وإننى ... لأدعو لها أن لا يحل بها القطر

وهل فى الحيا من حاجة لجنابها ... وفى كل قطر من جوانبها نهر[2]

تبدت عروسا والمقطم تاجها ... ومن نيلها عقد كما انتظم الدر [3]

وقال ظافر الحداد فى النيل وبركة الحبش:

تأملت نهر النيل طولا وخلفه ... من البركة الغناء شكل مقدر

فكان وقد لاحت بشطيه خضرة ... وكانت وباقى الماء فيها موفر

غمامة شرب فى حواش بخضرة ... أضيف إليها طيلسان مقور

---

(١) فى ب، جـ: خليل.

(٢) فى الأصل: قطر.

(٣) فى الأصل: القطر.

---

1 هو أبو الحسن، على بن الحسين بن حيدرة العقيلى، من سلالة عقيل بن أبى طالب، شاعر من سكان الفسطاط بالقاهرة، اشتهر بإجادته التشبيه وإكثاره من الاستعارات البيانية، له ديوان، توفى سنة ٤٥٠ هـ.

وقال الشهاب بن فضل الله:

لمصر فضل باهر لعيشها الرغد النضر
فى كل سفح يلتقى ماء الحياة والخضر

وقال ابن أبى حجلة:

قدمت على [1] السلامة من دمشق فراق بنيل مصر ما تكدر
إذا ما أحمر ماء النيل فيها فشارب روضها بالغيث[2] أخضر

وقال مروان بن أبى الخصال:

النيل قد رقت غلالة خصره وعليه من صبغ الأصيل طراز
تترقرق الأمواج فيه كأنها عكن الخصور تهزها الأعجاز

وقال بعضهم:

انظر إلى النيل السعيد وقد بدا فى عسكر الموج الشديد معبسا
حصر [3] البلاد فأسلمته أرضها فغشى ثراها حين ولى سندسا

وقال آخر:

لله يومى ببركة الحبش والأفق بين الضياء والغبش[4]
والنيل تحت الرياح مضطرب كصارم فى يمين مرتعش
ونحن فى روضة منوقة 1 دبج بالوشى عطفها ووشى

(١) فى الأصل: قد علا.
(٢) فى ب: بالغيب.
(٣) فى ب، جـ: حضر.
(٤) فى الأصل: اللبس.

1 منوقة: أى: مجوده. يقال: تنوق فى أموره، إذا تجود وبالغ، مثل تأنق فيها.

قد نسجتها [1]يد الغمام لنا فنحن من نسجها على فرش

وقال تميم بن المعز:

نظرنا إلى النيل فى مده بموج يزيد ولا ينقص
كأن معاطف أمواجه معاطف جارية ترقص

وقال الصفى الحلى:

وفى النيل إذ وفى البسيطة حقها وزاد على ما جاءه [2] من صنائع
فماذا يقول الناس فى جود منعم يشار إلى إنعامه بالأصابع

وقال كشاجم:

كأن النيل حين جرى فغصت [3] به مصر وكسرت التراع
وأحدق بالورى من كل وجه سماوات كواكبها الضياع

وقال على بن رستم المعروف بابن الساعاتى:

واها لهذا النيل أى عجيبة بكر بمثل حديثها لا يسمع
يلقى الثرى فى العام وهو مسلم حتى إذا ما مل عاد يودع [4]
متنقل مثل الهلال فدهره أبدا يزيد كما يزيد ويرجع
وكأنما زهر النجوم مواثل فيه ونور البدر إذ يتشعشع
بيض تسل على متون سوابغ خضر بأمثال العقود ترصع
لولا تناولها وقرب مكانها حسيت بروقا فى سماء تلمع

---

(١) فى ب: نسختها.
(٢) فى ب: جناه.
(٣) فى ب: فضت.
(٤) فى الأصل: مودع.

(وقال آخر) [1]:

النيل قال وقوله إذ قال ملء مسامعى
فى غيظ من طلب العلا عم البلاد منافعى
وعيونهم بعد الوفا قلعتها بأصابعي

وقال خليل بن الكتفى[2]:

مولاى إن البحر لما زرته حياك وهو أخو الوفا بالأصبع
فانظر لبسطته فرؤيتك التى هى مشتهاه وروضة المتمتع
أرخى عليه الستر لما جئته خجلا ومد تضرعا بالأذرع

قال آخر:

ماذا يفيد المعنى من الجوى المتابع [3]
بمصر ذات الأيادى ونيلها ذى الأصابع

قال آخر:

إذا ما النيل حل بأرض مصر وطاف بها وفتحت التراع
ترى فيها عجائب كل يوم سماوات كواكبها ضياع

قال الشهاب بن فضل الله:

النيل أكبر آية لا يدعيها مدعى
كم ذا يقيس له الذرا ع وما يجيء بأصبع

---

(١) جاء مكان ما بين القوسين بياض فى ب.
(٢) فى جـ: الكفنى.
(٣) جاء بعدها فى جـ: التابع.

وقال ابن خفاجة 1:

وضوء البدر [1] فوق النيل [2] باد كأطراف الأسنة فى الدروع

وقال الشيخ شمس الدين محمد بن جابر الأندلسى 2 صاحب شرح الألفية المشهور بالأعمى (والبصير يمدح مصر بقوله) [3]:

ما زلت أسند عن محاسن أرضها خبرا صحيحا ليس بالمقطوع
كم مرسل من نيلها ومسلسل ومدمج من هضبها المرفوع
ولأهلها خبر غريب فى الندا هو عن عطاء لا عن ابن منيع

وقال بعضهم:

أما ترى البحر ما أحلى شمائله والموج يضرب برا[4] ثم ينحرف
كأنه ملك تأتى الجيوش له تقبل الأرض طوعا ثم تنصرف

[وقال ابن جبارة 3:

انظر إلى النيل فى أمواجه عجب تأتى إلى الشط أحيانا وتنعطف

---

(١) فى الأصل، ب: النيل.
(٢) فى الأصل: البدر.
(٣) ما بين القوسين ليست فى الأصل، ب.
(٢) فى ب، جـ: أحيانا.

---

1 هو إبراهيم بن أبى الفتح بن عبد الله بن خفاجة الهوارى الأندلسى، شاعر غزل، من الكتاب البلغاء، غلب على شعره وصف الرياض ومناظر الطبيعة، له ديوان شعر، توفى سنة ٦٣٣هـ.

2 هو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن جابر بن محمد بن قاسم القيسى الوادى آشى نسبة إلى وادى آش بالأندلس، رحال، عالم بالحديث، مولده ووفاته بتونس، وهو من مشايخ لسان الدين بن الخطيب وعبد الرحمن بن خلدون، له ديوان شعر، توفى سنة ٧٤٩ هـ.

3 هو أبو الحسن، شرف الدين على بن إسماعيل بن إبراهيم بن جبارة الكندى التجيبى السخاوى، ولد فى سخا، وسكن المحلة وتوفى بالقاهرة، وكف بصره آخر عمره، له شعر رقيق فى ديوان، توفى سنة ٦٣٢ هـ.

كأنه ملك تأتى الجيوش له تقبل الأرض طوعا ثم تنصرف[1]

قال النصير الحمامى:

إن عجل النيروز قبل الوفا عجل للعالم صفع القفا

فقد كفى من دمعهم ما جرى وما جرى من نيلهم ما كفي

وقال البدر البشتكى:

البدر فوق النيل قد ألقى شعاعا يأتلق

فحكى مسنا أزرقا وعليه حك من ورق

وقال الأمير شهاب الدين بن المعمار:

انظر إلى الشمس فوق النيل غاربة واعجب لما بعدها من حمرة الشفق

غابت وأبدت شعاعا منه يخلفها كأنها احترقت فى الماء بالغرق

وفى الهلال فهل وافى لينقذها فى إثرها زورق قد صيغ من ورق

وقال القيراطى:

وتمثلت فى النيل شهب سمائنا فكأنها فيه قلوب تخفق

ولقد عجبت لها نجوما كلما سبحت على الأفلاك فيه تغرق

لا تنكروا غرق الهلال بمائه إن الهلال كما علمتم زورق

وقال بعضهم:

---

(١) ما بين المعقوفتين ليس فى ب.

يا نيل اجر على حسن [1] العوائد [2] فى أرجاء مصرك [3] واجبر كل مرتزق[4]
واعلم بأنك مصرى فلست ترى حلو الفكاهة ما لم تأت بالملق

وقال الصلاح الصفدى:

لم لا أهيم بمصر وأرتضيها وأعشق
وما ترى العين أحلى من مائها إن تملق

وقال النصير الحمامى:

رأيت فتى يقول بشط مصر على درج بدت والبعض غارق
متى غطى لنا الدرج استقمنا فقلت نعم وتنصلح الدقائق

وقال أبو القاسم بن العطار:

برزنا بشاطئ النيل من حدائق بها حدق الأزهار تستوقف الحدق
وقد نسجت كف النسيم مفاضة عليه وما غير الحباب لها حلق

وقال غيره:

أما ترى البدر فى دجى الغسق قد امتطى فوق [5] منكب الأفق
أهدى [6] إلى النهر حسن بهجته فبات فى حلة من الورق

---

(١) فى ب: مصركم.
(٢) فى ب، جـ: مترقرق.
(١) فى ب: أحسن.
(٢) فى ب: الفوائد.
(٥) ليست فى جـ.
(٦) فى الأصل: أهنى.

وقال الأمير تميم بن المعز:

أما ترى الرعد بكى واشتكى والبرق قد أومض واستضحكا
وانظر لماء [1] النيل فى مده كأنما صندل أو مسكا

وقال الشيخ شمس الدين بن الصائغ:

سما [2] النيل إذ يحكى السما فى انبساطه ولله ما أحلى وأصدقه حاكى
تسير به الأفلاك بدءا وعودة وحافاته [3] أيضا تحف بأملاك

وقال الصنوبرى:

ترى الريح تنسج من مائه دروعا مضاعفة أو شبك
كأن الزجاج عليه أذيـ ـب وماء اللجين عليه انسبك
هو الجو فى رقة غير أن مكان الطيور تطير السمك

وقال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر:

قد قطع الطرق [4] نيل مصر حتى لقد خافه السبيل
بالسيف والرمح من غدير ومن قناة لها نصول

وقال شمس الدين بن دانيال الحكيم 1:

كأنما النيل الخضم إذ بدا يروى حديثا وهو ذو تسلسل

---

(١) فى ب: إلـى.
(٢) فى ج: ماء.
(٣) فى ب، جـ: وعاداته.
(٤) فى ب: الطريق.

---

1 هو شمس الدين، محمد بن دانيال بن يوسف الخزاعى الموصلى، طبيب رمدى من الشعراء. أصله من الموصل، ومولده بها، توفى فى القاهرة. وكانت له دكان كحل فى داخل باب الفتوح. توفى سنة ٧١٠ هـ.

لما [1] رأى الأرض بها شقيقه ضمخها بمائه المصندل

وقال الصلاح الصفدى:

رأيت فى أرض مصر مذحللت بها عجائبا ما رآها الناس فى جيل
تسود فى عينى الدنيا فلم أرها تبيض إلا إذا ما كنت فى النيل

وقال أيضا [2]:

ركبت [3] فى النيل يوما مع أخى أدب فقال دعنى من قال ومن قيل
شرحت يا نيل[4] صدر القوم قلت له لا تنكر الشرح يا نحوى للنيل

[وقال (الشيخ زين الدين بن الوردى)[5]:

ديار مصر هى الدنيا وساكنها هم الأنام فقابلها بتقبيل
يا من يباهى ببغداد ودجلتها مصر مقدمة والشرح للنيل] [6]

وقال إبراهيم بن عبدون الكاتب:

والنيل بين الجانبين كأنما صديت بصفحته صفيحة صيقل
يأتيك من كدر الزوافر مده بمسك من مائه ومصندل
فكأن[7] ضوء البدر فى تمويجه برق تموج[8] فى سحاب مسبل

---

(١) فى الأصل، جـ: لها.
(٢) فى ب: الزين بن الورد. وفى جـ: ابن الوردى.
(٣) فى ب: وكتب.
(٤) فى ب، جـ: يا بحر.
(٥) جاء مكان ما بين القوسين فى جـ: أيضا.
(٦) ما بين المعقوفتين ليس فى ب.
(٧) فى ب، جـ: موج.
(٨) فى جـ: فكأنها.

وكأن نور السرج من جنباته[1] زهر الكواكب تحت ليل أليل
مثل الرياض مفتتا[2] أنوارها يبدو لعين مشبه وممثل

وقال أبو الحسين الوزير:

أرى أبدا كثيرا من قليل وبدرا فى الحقيقة من هلال
فلا تعجب فكل خليج ماء بمصر مسبب لخليج مال
زيادة أصبع فى كل مد زيادة أذرع فى كل حال

وقال أيدمر التركى:

أنظر إلى النيل السعيد المقبل والماء فى أنهاره كالسلسل
أضحى يريك الحسن بين مورد من لونه وممسك و مصندل
ويمر فى قيد الرياح مسلسلا يا حسنه من مطلق ومسلسل
وترى زوارقه على أمواجه براقة[3] للناظر المتأمل
مثل العقارب فوق حيات بدت يسعى بها فى عدوها ما تأتلى 1
وكأنما أسماكه من فضة من جمد (ذائب مائه) [4] من أول

وقال المعمار:

حزن الخزان لما أن رأى نيلنا قد عم سهلا وجبل

---

(١) فى جـ: حياته.
(٢) فى ب، جـ: مصنقا.
(٣) فى ب: بره. وفى جـ: بريه.
(٤) فى جـ: مائه الذائب.

---

1 تأتلى: تمشى فى ثقل.

ورأى الزرع عروقا أخرجت [1] سبلات 1 ذات حب فاختبل
وبكى إذ رمدت مقلته زاده الله عروقا وسبل 2

وقال علاءالدين الوداعى [2]:

رو بمصر وسكانها شوقى وجدد عهدى الخالى
وارو لنا يا سعد عن نيلها حديث صفوان بن عسال
فهو مرادى لا يزيد ولا ثور وإن راقا ورقا لى

وقال البدر البشتكى:

ما مثل نيل مصر فى الد نيا لمن ينسطل
ولونه وطعمه طحينة وعسل

وقال الأمير ناصر الدين حسن بن النقيب:

نيل مصر لمن رآ ه ومن ذاقه رسل 3
هو فى (اللون الطحي نة) [3]والطعم العسل

وقال القيراطى:

لنيل مصر كمال فى زيادته وفضله غير مخفى ومكتتم
إذا بدت لك من تياره شيم رأيت ظاهر الأوصاف والشيم

---

(١) فى ب، جـ: تعرجت.
(٢) فى الأصل: البرادعى.
(٣) جاء مكان القوسين فى الأصل: كالطحينة. وفى ب: الطحينة.

---

1 سبلات: جمع سبلة وسبلة الزرع: سنبله.
2 وسبل: السبل: داء فى العين يشبه الغشاوة كأنها نسج العنكبوت.
3 رســل: الرسل: ذوات اللبن.

وقال الصلاح الصفدى:

قالوا علا نيل مصر فى زيادته ... حتى لقد بلغ الأهرام حين طما
فقلت هذا عجيب فى بلادكم ... أن ابن ستة عشر يبلغ الهرما

وقال أيضا:

قد زاد هذا النيل فى عامنا ... فأغرق الأرض بإنعامه
وكاد أن يعطف من مائه ... عرى على أزرار أهرامه

وقال غيره [1]

مد نيل الفسطاط فالبر بحر ... زاخر فيه السفين [2] تعوم
فكأن الأرضين منه سماء ... وكأن الضياع فيها نجوم

وقال الشيخ شمس الدين بن الصائغ:

وأرض مصر فتلك أرض ... من كل فن لها فنون
ونيلها العذب ذاك بحر ... ما نظرت مثله العيون

وقال ابن الساعاتى:

ولما توسطنا على النيل غدوة ... ظننت وقلب (الصب) [3] باللهو [4] ملآن
عشارية إنسا له الماء مقلة ... وليس لها إلا المجاذيف 1 أجفان

---

(١) فى جـ: أيضا.
(٢) فى ب، جـ: السفن.
(٣) ما بين القوسين ليس فى الأصل.
(٤) فى ب، جـ: اللهو.

---

1 المجاذيف: جمع مجداف. وهو مجداف السفنية.

وقال آخر:

ليهن [1] أحبابى نيلا ووفا ومفردا وافى به مؤذنا
ما النيل إلا أدمعى بعدكم كلا ولا المفرد إلا أنا

وقال النواجى:

اركب النيل ما استطعت ففيه راحة للفتى [2] وغاية بغيه 1
كم تنزهت حين سافرت فيه فى بلادكم وكم ظفرت بمنيه 2

(وقال ناصر الدين بن النقيب) [3]

كأن النيل ذو فهم ولب لما يبدو لعين الناس منه
فيأتى عندحاجتهم إليه ويمضى حين يستغنون عنه

وقال آخر:

أتطلب من زمانك ذا وفاء وتأمل [4] ذاك جهلا [5] من بنيه
لقد عدم الوفاء به وإنى لأعجب من وفاء النيل فيه

وقال المعمار:

ذا النيل ما يبرح فى سعده وحاله الماشى ما حالا

---

(١) فى الأصل: ليهز.
(٢) فى جـ: للعـــين.
(٣) ما بين القوسين ليس فى ب.
(٤) فى الأصل: وتأمن.
(٥) فى ب، جـ: وجها.

---

1 بغيه: أمنيته.
2 بمنيه: المنية هى البغية والأمنية.

تجرى لنا ماض ومستقبلا لا أوقف الله له حالا

وقال ابن قزل:

يا حسن وجه النهر حين بدا والسحب تهطل فوقه مطلا
فكأنه درع وقد ملأت أيدى الكماة 1 عيونه نبلا

وقال ابن مكانس فى أرجوزته:

والقرط طاب ريا سقيا له ورعيا
والنهر وسط الزهره كأنه المجره
من شطه للشط مشنف [1] بالقرط

(١) فى الأصل: مشنب.

1 الكماة: جمع كام، وهو لابس الدرع

ذكر المقاطيع التى نظمها الشيخ بدر الدين بن الحاجب فى النيل وأفردها فى ديوانه فى جزء لطيف[1] سماه "مقطعات النيل"

قال:

قد ألفنا النيل حبا والتزاما للإخاء
إذ تناسبنا مزاجا قام من طين وماء

قال أيضا:

يا رب نرجو وفاء فى نيلنا للرخاء[2]
وإن نكن قد غدرنا فأنت أهل الوفاء

وقال فى كثرة الزيادة:

قد أصبحت بالنيل مصر غريقة من بعد ما شكرت لديه وفاء
ما زال يستسقى بها حتى غدت تشكو بكثرة مائها[3] استسقاء

وقال:

نيروز مصر قبل الوفاء يعد صفعا بغير ماء

---

(١) ليست فى ب، جـ.
(٢) فى ب، جـ: للرجاء.
(٣) فى ب، جـ: مائه.

وقال فى الستر والوفاء:

يا حسن ستر على وفاء يوزن بالبشر والرخاء
(فضل [1] من الله وهو أهل للفضل والستر والرخاء) [2]

وقال:

النيل أفرط فيضا [3] على الورى بالعطاء
وفى المكارم حقا فهو ابن ماء السماء

وقال فى المفرد المبشر بوفاء النيل:

يا مفردا بوفاء النيل بشرنا وصب فى أذن الأعداء صوت عذاب
أسل [4] بأصبعك العالى عيونهم واركض برجلك هذا بارد وشراب

وقال:

لله سرفى علوم الغيوب وفرجة من ضيق كل الكروب
لا داء إلا دواء له والنيل صابون لهم القلوب

وقال أيضا:

تمتع بماء النيل يوم وفائه وقد ذاق منه الشرق للناس والغرب
فقد سكبت منه الجنادل فيضها فأضحى بلا شك حلاوته سكب 1

---

(١)هذا البيت ليس فى جـ.
(٢)فى ب: فضلا.
(٣) فى الأصل، جـ: فينا.
(٤) فى جـ: أصل.

---

1 سكب: لازم دائم.

وقال أيضا:

قد فاح للرياض نشر عطر أطيب من روائح الشباب
وكيف لا والنيل يسقى دوحه من مائه بصندل مذاب

وقال:

الاسم غير المسمى ولى [1] دليل أديب
فالكسر فى نيل مصر جبر لكل القلوب

وقال:

يا حسن نيل زائد زيد الهوى بصبه
لين له فى جريه فقد جرى بقلبه

وقال:

كان لمصر ميزة بالنيل مذ ولى خلت
كأنه زوج لها فبعده ترملت

وقال:

سكنت جوار النيل فى طيب عيشة تلذ عشاء (مثل لذته) [2] صبحا
يبرد نارى [3] ماؤه وظلاله فلم أك أظمى لديه [4] ولا أضحى

---

(١) فى ب، جـ: وله.
(٢) فى ب، جـ: بعد لذتها.
(٤) فى ب، جـ: بعد لذتها.
(٣) ليست فى الأصل.

وقال:

إن الدماء قوام لكل جسم صحيح
وحمرة النيل فيها قوام جسم وروح

وقال:

وافى لنا النيل برغم العدا وعاد ليل الشك فيه ضحى
وأصبح الخزان من غيظه بغل قمح عنده مقمحا

وقال:

لك الهنا بنيل حبا الصباح صبوحا
فلونه لون راح وريحه صار روحا

وقال:

وسائلة عن النيل الذى قلا على العشرين بالفيض الطفوح[1]
وقالت وهى [2] تبكى أين وافي؟ فقت لها غدا طوفان نوح

وقال:

أصابع النيل وفت وبالغت فى الملاحه
أصابع بالعطايا أبدت لنا ألف راحه

[وقال:

قد وفى النيل خامس شهر مسرى فملا بشره قلوب العباد

---

(١) كذا ورد البيت فى سائر النسخ الخطية، وشطره الأول غير مستقيم الوزن.
(٢) ليست فى الأصل، جـ.

جاء فى غير وقته قلت أهلا بحبيب أوفى بلا ميعاد[1]

وقال:

النيل أصبح خمرا مشعشعا قد تورد
وقد حلا حين أضحى بطينه قد تقند 1

وقال:

لله يوم بالوفاء معظم والستر مع لطف يعم بلادا
أرخوه أحمر والنفوس كأنها أرخت عليه من الظما أكبادا[2]

وقال:

خزان مصر غدا في أقداح قمح يعربد
فجاءنا النيل يرغى غيظا عليه ويزبد

وقال:

قد كانت الأحوال فى كشفة 2 وبيض أيام العباد[3] سودا
حتى رأينا نيلنا طالعا فأطلع الله به السعودا

---

(١) ما بين المعقوفتين ليس فى الأصل.
(٢) فى الأصل: أكبابا.
(٣) فى جـ: الوصال.

---

1 تقند: أى صار قندا، وهو عسل قصب السكر إذا جمد.
2 كشفة: بفتح الشين، شعرات تنبت بناصية المرء تكون ثائرة لا تسترسل. وكانت العرب تتشاءم من صاحبها.

وقال فى أصبع الوفاء حين يكتم ويسمونه أصبع الذراع [1]:

قد أبهم الوفا في أصبعه بشده
فيا له من أصبع إبهامه بعقده

وقال:

إذا جرى النيل بازدياد وطاب من شربه الصعيد
فانظر إلى طرسه 1 وطالع فإنه الطالع السعيد

وقال:

فى أبيب جاء حر فوق ما قد كان عاده
زاد فيه النيل دفعا قلت حرا [2] بزياده

وقال:

عامل بخير و يسر وفى ولو كنت معسور
فالنيل يشكر مما وفى الورى وهو مكسور

وقال:

فى النيل طين كمسك ثناؤه خير عطر
فاعجب له حين أوفي ممسكا وهو يجرى

---

(١) ليست فى ب. وفى جـ: التراع.
(٢) فى ب: جر. وفى جـ: حر.

---

1 طرسه: أى كتابه أو صحيفته.

وقال:

زادت فراعن مصر وظلمها قد تكثر
ونيلها بعد كسر طغى بها و تجبر

وقال:

لمصرنا من نيله ثروة فالرزق من أصبعه يجرى
يقول من أبصره أحمرا قوموا انظروا للذهب المصرى

وقال فى الجسر الذى عمله جركس الخليلى:

أميرنا جركس الخليلى بكل ما يشتهى مظفر
قد غالب النيل منه سعد حتى على قلبه تجسر

وقال:

محاسن بحر النيل لم تحص عدة فقد طاب مسموع لهن ومنظور
تخلق بالوصف الجميل على المدى وزاد على حسن الوفا وهو مكسور

وقال مضمنا وقد خلقوا النيل قبل الوفاء:

قد كان خلق نيلنا قبل الوفا فالكسر منه لكل قلب فى الورى[1]
والآن نادوا قد وفى فأجبتهم صدق المخبر والحديث كما جرى

وقال فى ذلك أيضا:

جاءوا بروع[2] كذب وخلقوا نيل الورى
وقيل لى النيل وفي فقلت هذا ما جرى

---

(١) فى ب: الورد.
(٢) فى الأصل: بردع.

وقال فى أيام برقوق:

قد علا النيل ووفي فله نفع ومنظر
إن برقوقا كغصن كعبه [1] للناس أخضر

وقال:

نيل مصر قد كسر عن طلوع معتذر
رب فاجبر كسره أنت عند المنكسر

وقال أيضا:

ما النيل إلا نافع باطنه والظاهر
يكفيك أن كسره للناس نعم الجابر

وقال:

أتانا النيل وهو عروس مصر فأغلا إذ وطاها منه مهرا
وقد خلعت عليه الستر بردا وكدنا نخلع الأرواح بشرا

وقال:

النيل وفى وأبدى بالحسن منه احمرارا
وصار مثل مدام 1 والناس منه سكارى

وقال:

جاز على أهل مصر نيل طغى بتجفيفه [2] فجسر

---

(١) ليست فى ب، جـ.
(٢) فى ب، جـ: بتطفيفه.

---

1 مدام: خمر

ولم يفد كسرهم عليه وهو على أرضها تكسر

وقال (مضمنا أيضا)[1] وقد انتقل النيل عن بر مصر إلى شط الجيزة:

ياأيها السلطان إن النيل عن مصر تنقل[2] بعد طول جوار
فاحفظ لنا جريانه وجواره فالله قد أوصى بحفظ الجار

وقال مضمنا بيت بشار:

ناديت[3] والنيل عن مصر العزيزة قد نأى بأحسن إيثار وآثار[4]
يا رحمة الله حلى فى منازلنا وجاورينا فدتك النفس من جار

وقال:

إن التواضع رفعة الأقدار لاسيما للسادة الأطهار
فالنيل عند حلوله[5] وسموه تلقاه يخفض نفسه للجار

وقال:

النيل وفى على جارى عوائده وزاد بعد الوفا ماء وأنوارا
(لأنه ماؤه)[6] المصرى عسجده يزيد فى الكسر للدينار دينارا

وقال مضمنا:

لله يوم الوفا والناس قد جمعوا كالروض تطفو على نهر أزاهره

---

(١) ما بين القوسين ليس فى ب، جـ.
(٢) ليست فى جـ.
(٣) فى ب، جـ: آثار وإيثار.
(٤) زاد بعدها فى جـ: مضمنا.
(٥) فى ب، جـ: علوه.
(٦) فى الأصل: لأنه ماه. وفى ب: لأنه ماء.

وللوفاء عمود من أصابعه مخلق تملأ الدنيا بشائره

وقال:

أهل مصر اليوم نادوا ولهم قول وجيز
رب وف النيل فينا وتصدق ياعزيز

وقال:

لقد أحسن النيل المبارك منعما وقد طاب منه منبت ثم مغرس
وألبسه الرحمن من أجل سعيه إلى أرضنا تشريفة وهو أطلس 1

وقال:

النيل وافى بالمنى وأتى بطيب الأنفس
ملك عساكر وجهه[1] فى أحمر من أطلس

وقال:

يا ساكنى مصر لا تخافوا إذا طغى نيلكم ضياعا
مهما يزد نيلنا ذراعا رخص قمحا لنا وباعا

وقال:

أقول وقد وفى لنا النيل حده وقد طاب منه للورود مشارع
لقد ثبتت فى مصر منك منافع كما ثبتت فى الراحتين الأصابع

وقال:

أوحشنا يا نيل منك الوفا وفاض منا للأسى أدمع

---

(١) فى ب، جـ: موجه.

1 أطلس: الأطلس: نسيج من الحرير

وكلنا قد أصبحت أرواحنا تقول قد تطلع أو نطلع

وقال:

تخلق النيل لما وفى بخير الطباع
وما تملق إلا للبسط لا للخداع

وقال:

النيل زاد جورا بحكمه المطاع
يعمل فى الرعايا بالباع والذارع

وقال:

النيل أفرط فينا بفيضه المتتابع
فصار مما دهانا حديثنا بالأصابع

وقال:

تقاصر النيل عنا تقاصرا متتابع
حتى قنعنا اضطرارا منه بمص الأصابع

وقال:

إقليم مصر له افتخار بتربة عذبة المنافع
وحسبه النيل إذ إليه يشار فى الفضل بالأصابع

وقال:

جلس الرخاء على سرير وفائه ملك له الأرزاق تأتى طائعه
والنيل ساع بالمراكب وهو قد ذلت له الأعناق منها خاضعه

وقال:

بالله يا نيل بعيش الصفا وظاهر اللطف وما قد خفا [1]

لا تقطع العادة عنا ولا تعد غديرا بعد ذاك الوفا

وقال فى رباط المعشوق بشاطئ النيل بالآثار:

ما النيل إلا حية يميل من سلافه [2]

جاء إلى معشوقنا دب إلى أردافه

وقال:

أدار النيل كاسات التهانى وعم الأرض من غدق طباقا

كأن كؤوسه صهبا [3] جنان فآخر شربها تلقى دهاقا [4]

فتوج بالزمرد رأس مصر وصاغ الدر من حبب نطاقا

وقال:

فرح الأنام بنيلهم إذ صار أحمر كالشقيق [(١)]

وتبركوا بشروقه فكأنه وادى العقيق

وقال:

النيل أحمر يوم كسر فقلت إذ ستره معلق

---

(١) فى جـ: كالعقيق.

---

1 كذا يكون الضبط لتتفق القافية، وإن كان خفا بفتح الفاء تأتى بمعنى ظهر، وهو ما يأباه السياق. بينما خفى التى بمعنى كتم وستر فهى مكسورة الفاء وبالياء فى آخرها.

2 سلافه: سلاف الشيء: مقدمته.

3 صهباء: هى الخمر

4 دهاقا: صفاء.

لا تلمسوه بزعفران فهو بإشراقه مخلق

وقال:

النيل وفى غاية للهنا [1] بطيب أوقات وأرزاق
وخلقوا اليوم عمودا له قامت له الدنيا على ساق

وقال:

النيل روضته وطا بعد الترمل والشقا
وغدا يعانقها رضا ويقول من عاش التقى

وقال:

احمر للنيل خد حتى غدا كالشقيق
وقد ترنمت فيه إذ صار وادى العقيق

وقال:

وفى لنا نيل مصر وزاد من بعد تخليق
فذاك عيد كبير ما فيه أيام [2] تشريق

وقال:

قطعت يا نيل لنا عادة فدمعنا من قطعها فى اندفاق
إن كنت تشكو لاحتراق ضنا فكلنا مثلك فى الاحتراق

وقال:

النيل أفرط فينا حتى شرقت بريقى

---

(١) فى الأصل: للهبا.
(٢) ليست فى جـ.

وسل سيفا صقيلا يمشى بقطع الطريق

وقال مضمنا:

قد قلت إذ نادى منادى نيلنا بأصابع سبحان ذا الخلاق
قبل أصابعه فلسن أصابعا [1] لكنهن مفاتح [2] الأرزاق

وقال:

احفظ صديقك عن حوادث دهره واخضع له(ليراك فيه تحت رق) [3]
فالخل من يفدى الخليل بنفسه كالنيل يطفى حر مصر ويحترق

وقال:

النيل ألبس حلة حمراء فى تخليقه
وله أصابع زينت وتختمت [4] بعقيقه

وقال فى معانقة النيل للمقياس يمينا وشمالا:

قد جاء يا مقياس من نيلنا فيض عظيم حف من جانبيك
أصابع أعطت بأطرافها بحرا وقالت خذ بكلتا يديك

وقال:

يا نيل هز معاطفا وشمائلا بوفائك المسعود فى إقباله
قد فقت أنهار البلاد بأسرها ولمصر حقا أنت ماء جماله

---

(١) فى الأصل: أصبعا.
(٢) فى الأصل، ب: مفاتيح.
(٣) فى الأصل: ليراق تحت رق. وفى جـ: ليراق منه رقى.
(٤) فى الأصل: وتجمعت. وفى جـ: وختمت.

وقال:

أتى لنا النيل بكل زينة ملونا بردا عليه معلما
واحمر لما زاد بعد خضرة كأنما ريحانة تحمحما 1

وقال:

نادى منادى الوفاء مصرا إذ علقوا ستره علامه
من الغلاء قد سلمت حقا فبت فى الستر والسلامه

وقال:

قد بلغ النيل كل نفع من فيض تلك اليد الكريمه
وصار ذا عكنة وردف2 فهذه نعمة جسيمه

وقال لما بلغ النيل عشرين ذراعا وصار الناس يخوضون إلى بيوتهم:

طغى النيل عن حد عاداته وعلمنا الجهل فى العالمين
فصرنا نكشف عوراتنا وصرنا نخوض مع الخائضين

وقال:

النيل ما زال ذا نوال فى (مصرفاها مع اليدين) [1]
وما طلبنا الوفاء إلا وقال اسع له بعينى

وقال:

تقاصر النيل عن وفاء لما [2] أصابته كل [3] عين

---

(١) جاء مكان ما بين القوسين فى ب، جـ: مصرها مع البدين.
(٢) فى ب: فما.
(٣) ليست فى ب، جـ.

---

1 تحمحما: أى : أسود.
2 ردف: أى: عجز.

يا أصبعا للوفاء أبطأ جعلت وجهى بإصبعين

وقال:

للنيل فى مصر أياد علت فكل من فيها به يمترون
كأنه طوبى وهى جنة فكل معنى[1] فيه منها غصون

وقال:

يا نيل أنت مليكنا ولك القلوب بمصرنا
أطعمتنا من جوعنا وجبرتنا من كسرنا

وقال فى بستان المعشوق:

ناديت معشوق مصر لما تناوح الورق فى[2] غصونه
لا[3] تخش جدبا فالنيل صب إليك يسعى على عيونه

وقال:

أقول لما نادى بشير[4] تحرز النيل فى وفاه
مقياس مصر ميزان عدل وجانبا النيل كفتاه

وقال:

قد أخذ النيل بثأر له لما علا فوق الذى نشتهيه
فكم رمى بالشح من يبسه وطالما كانوا يخوضون فيه

---

(١) فى جـ: مغنى.
(٢) فى الأصل: من.
(٣) فى الأصل: يا.
(٤) زاد بعدها فى جـ: مصر.

[وقال:

رب وف النيل إنا منه فى شر وبلوه
ما بقى للناس صبر[1] يحملون اليوم غلوه [2][3]]

وقال:

بشاطئ النيل دارى تعلو محلا وتغلو
يمربى النيل فيها وكلما مر يحلو

وقال:

أقول وماء النيل يوم وفائه تكامل منه الأنس والحسن والحلا
أتت رحمة الله التى نشرت على جميع الورى سترا من الأمن مسبلا

وقال:

قد كان ماء النيل فى احتراقه يسمج 1 وهو لون فضة جلا
فاحمر إذ زاد كأن لونه أذيب فيه ذهب فانطلى

وقال وقد صار ساحل مصر رملا:

لم تزل بالوفاء يا نيل أهلا ولك الفضل فى الدفاتر يملى
إن مصرا ترملت منك دهرا وهى ترجو مراجعا منك بعلا

---

(١) ما بين المعقوفتين ليس فى الأصل.

---

(٢) فى ب: سير.
(٣) فى ب: علوم. والغلوة: مقدار رمية السهم.
1 يسمج: يقبح.

وقال وقد بعد النيل عن الروضة:

قد كان للنيل المبارك روضة يلقى نداه لها شقيقا مغذيا
فخفى منازلها وأظهر هجرها فتبرجت فى الشط من عدم الحيا

وقال:

ما النيل إلا ملك منه الرعايا ترتوى
له على كسراته بمصر ملك كسروى 1

وقال:

النيل ذوب نضار 2 جار برزق البريه
قد هيم الخلق عشقا بسمرة ذهبيه

1 كسروى: نسبة إلى كسرى اسم ملك الفرس. والمعنى هنا: واسع الملك.
2 نضار: النضار هو الخالص من كل شيء، ويطلق على الذهب.